

تَقْسِمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

سورة آل عمران ١-١١-١٤٠٤-٦٩

دراسات الاستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة آل عمران

الم (١)

سورة آل عمران

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ (٢)

سورة آل عمران

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣)

مَنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ
اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤)

سورة آل عمران

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥)

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ
كَيْفَ يَشَاءُ لِمَا آوَاهُ الْإِلَٰهُ هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦)

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ
مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ
فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا
 وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ
 أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)

سورة آل عمران

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَمْ
يُخَلِّفُ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ اللَّهَ
يُخَلِّفُ فِيهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩)

سورة آل عمران

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا
 أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَ أُولَئِكَ هُمْ وَفُودُ
 النَّارِ (١٠)

كَذَّابٍ عَالٍ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١)

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ
تُخْسَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بئسَ
الْمِهَادُ (١٢)

سورة آل عمران

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ تَفَقْنَا فِيهِ
 نُفَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ
 يَرَوْنَهُمْ مِّنْ لَّيْبِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ
 يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٢)

سورة آل عمران

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ
الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ
الأنْعَمِ وَالحَرْبِ ذَالِكِ مَتَعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَ اللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)

سورة آل عمران

قُلْ أَتَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ
انظَرُوا ظَنَدَ رَبِّهِمْ جَنَابٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ أَزْوَاجٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَ رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ
بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦)

الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقَائِمِينَ وَ
الْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧)

سورة آل عمران

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ
 الْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا
 بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ (١٨)

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ مَا
 اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
 بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَ
 مَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ (٩)

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَ
مَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَمْتُ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ
اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)

ان الذين يكفرون بايات الله و
يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون
الذين يأمرون بالقسط من الناس
فبئس لهم بعداد يوم القيمة (٢١)

أُولَئِكَ الَّذِينَ خَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ
نَاصِرِينَ (٢٢)

سورة آل عمران

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
 مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ
 لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُقُولُونَ قَرِيبًا
 فَهُمْ مَعْرَضُونَ (٢٣)

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ
 إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَخَرَّهُمْ فِي
 دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ (٢٤)

سورة آل عمران

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَا لَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ
 فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ
 وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥)

سورة آل عمران

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ
تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ
تُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ
بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (٢٦)

سورة آل عمران

تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ
 فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
 وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ
 مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)

سورة آل عمران

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ
مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا
مِنْهُمْ وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ
وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨)

قُلْ إِنْ أَنْتُمْ تُحِبُّونَ مَا فِي
 بُدُونِهِ يَعْلَمُهُ اللَّهُ
 وَ يَعْلَمُ مَا فِي
 السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي
 الْأَرْضِ وَ
 اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ (٢٩)

سورة آل عمران

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مَحْضَرًا وَ مَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ^{٤٤}
لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَ
يُخِيرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ وَ اللهُ رَءُوفٌ
بِالْعِبَادِ (٣٠)

سورة آل عمران

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ
اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ (٣٢)

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحًا وَ
 آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى
 الْعَالَمِينَ (٣٣)

سورة آل عمران

ذُرِّيَّتَهُ
بَعَضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)

سورة آل عمران

إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي
 نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا
 فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ (٣٥)

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ انِّي
 وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ **وَ اللَّهُ أَكْبَرُ بِمَا
 وَضَعْتُ** وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَ
 انِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَ انِّي أُعِيدُهَا بِيكَ
 وَ ذَرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)

سورة آل عمران

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أُنبِتَهَا نَبَاتًا
 حَسَنًا وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
 زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ
 يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
 إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ
 هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً
 إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)

سورة آل عمران

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي
 فِي الْمِحْرَابِ أَنْ آتِ اللَّهَ بِبَيِّنَاتٍ
 مِّنْهُ مُصَدِّقًا لِّكَلِمَاتِهِ مِّنْ
 بَيْنِ النَّبِيِّينَ (٣٩)

سورة آل عمران

قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَ
قَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَ أَمْرًا نِي عَاقِرٌ
قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا
يَشَاءُ (٢٠)

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ
 مَا آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
 إِلَّا رَمْزًا وَ أَنْذَرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَ
 سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَرِ (٢١)

قَالَ ءَايَتِكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا

- قال في المجمع، الرمز الإيماء بالشفقتين، و قد يستعمل في الإيماء بالحاجب و العين و اليد، و الأول أغلب، انتهى،

وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْأَبْكَرِ

- و العشى الطرف المؤخر من النهار، و كأنه مأخوذ من العشوة و هى الظلمة الطارئة فى العين المانعة عن الإبصار فأخذوا ذلك وصفا للوقت لرواحه إلى الظلمة، و الإبكار صدر النهار و الطرف المقدم منه، و الأصل فى معناه الاستعجال.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

- و وقوع هذه الآية في ولادة يحيى من وجوه المضاهاة بينه و بين عيسى فإنها تضاهي قول عيسى لمريم بعد تولده: «فَأِمَّا تَرِينَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا»: مريم - ٢٦.

سورة مريم

فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا
وَ كُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا (٢٣)

فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا **أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤)**

وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥)

فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦)

فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا

• و قوله «فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا» قال ابن عباس و السدي و الضحاك و قتادة: المنادى كان جبرائيل (ع).

• و قال مجاهد و الحسن و وهب بن منبه، و سعيد بن جبير و ابن زيد و الجبائي: كان المنادى لها عيسى (ع).

فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا

- قوله تعالى: «فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي» إِلَى آخِرِ الْآيَتِينَ ظَاهِرُ السِّيَاقِ أَنَّ ضَمِيرَ الْفَاعِلِ فِي «فَنَادَاهَا» لِعِيسَى عِ لا لِلرُّوحِ السَّابِقِ الذِّكْرِ، وَ يُؤَيِّدُهُ تَقْيِيدُهُ بِقَوْلِهِ: «مَنْ تَحْتِهَا» فَإِنَّ هَذَا الْقَيْدَ أَنْسَبَ لِحَالِ الْمَوْلُودِ مَعَ وَالِدَتِهِ حِينَ الْوَضْعِ مِنْهُ لِحَالِ الْمَلِكِ الْمُنَادِي مَعَ مَنْ يَنَادِيهِ، وَ يُؤَيِّدُهُ أَيْضًا احْتِفَافُهُ بِالضَّمَائِرِ الرَّاجِعَةِ إِلَى عِيسَى عِ.

فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا

- و قيل: الضمير للروح و أصلح كون الروح تحتها بأنها كانت حين الوضع في أكمة و كان الروح واقفا تحت الأكمة فنادها من تحتها، و لا دليل على شيء من ذلك من جهة اللفظ.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

- و سؤاله ع من ربه أن يجعل له آية و الآية هي العلامة الدالة على الشيء - هل هو ليستدل به على أن البشارة إنما هي من قبل ربه، و بعبارة أخرى هو خطاب رحمانى ملكى لا شيطانى؟ أو لأنه أراد أن يستدل بها على حمل امرأته، و يعلم وقت الحمل، خلاف بين المفسرين.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

- و الوجه الثانى لا يخلو عن بعد من سياق الآيات و جريان القصة لكن الذى أوجب تحاشى القوم عن الذهاب إلى أول الوجهين أعنى كون سؤال الآية لتمييز أن الخطاب رحمانى هو ما ذكروه: أن الأنبياء لعصمتهم لا بد أن يعرفوا الفرق بين كلام الملك و وسوسة الشيطان، و لا يجوز أن يتلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الإفهام.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

• و هو كلام حق لكن يجب أن يعلم أن تعرفهم إنما هو بتعريف الله تعالى لهم لا من قبل أنفسهم و استقلال ذواتهم، و إذا كان كذلك فلم لا يجوز أن يتعرف زكريا من ربه أن يجعل له آية يعرف به ذلك؟ و أى محذور فى ذلك؟ نعم لو لم يستجب دعاءه و لم يجعل الله له آية كان الإشكال فى محله.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

• على أن خصوصية نفس الآية - وهي عدم التكليم
ثلاثة أيام - تؤيد بل تدل على ذلك فإن الشيطان و إن
أمكن أن يمس الأنبياء في أجسامهم أو بتخريب أو
إفساد في ما يرجونه من نتائج أعمالهم في رواج الدين
و استقبال الناس أو تضعيف أعداء الدين كما يدل عليه
قوله تعالى: «وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِي مَسَّنِيَ
الشَّيْطَانُ بِنَصْبٍ وَ عَذَابٍ»: ص - ٤١،

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

• و قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ» الآية: الحج - ٥٢، و قوله تعالى: «فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ: الكهف - ٦٣.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

- لكن هذه و أمثالها من مس الشيطان و تعرضه لا تنتج إلا إيذاء النبي و أما مسه الأنبياء في نفوسهم فالأنبياء معصومون من ذلك و قد مر في ما تقدم من المباحث إثبات عصمتهم ع.

آيَتِكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا

• و الذي جعله الله تعالى آيةً لذكر يا على ما يدل عليه قوله آيَتِكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ هُوَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَقْدِرُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ عَلَى تَكْلِيمِ أَحَدٍ وَ يَعْتَقِلُ لِسَانَهُ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ وَ تَسْبِيحِهِ، وَ هَذِهِ آيَةٌ وَاقِعَةٌ عَلَى نَفْسِ النَّبِيِّ وَ لِسَانِهِ وَ تَصْرَفَ خَاصٍ فِيهِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ لِمَكَانِ الْعِصْمَةِ فَلَيْسَ إِلَّا رَحْمَانِيًا" وَ هَذِهِ الْآيَةُ كَمَا تَرَى مُتَنَاسِبَةً مَعَ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ دُونَ الْوَجْهِ الثَّانِي.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

- فَإِنْ قُلْتَ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ الْآيَةُ " فَإِنْ ظَاهِرُهُ أَنَّهُ خَاطَبَ رَبَّهُ وَ سَأَلَهُ مَا سَأَلَ ثُمَّ أَجِيبَ بِمَا أَجِيبُ فَمَا مَعْنَى هَذِهِ الْمَخَاطَبَةُ لَوْ كَانَ شَاكَا فِي أَمْرِ النِّدَاءِ؟ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ شَاكَا عِنْدَهُ فَمَا مَعْنَى سَوْأَلِ التَّمْيِيزِ؟.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

- قلت: مراتب الركون و الاعتقاد مختلفة فمن الممكن أن يكون قد اطمأنت نفسه على كون النداء رحمانيا من جانب الله ثم يسأل ربه من كيفية الولادة التي كانت تتعجب منه نفسه الشريفة كما مر فيجواب بنداء آخر ملكي تطمئن إليه نفسه ثم يسأل ربه آية توجب اليقين بأنه كان رحمانيا فيزيد بذلك وثوقا و طمأنينة.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

- و مما يؤيد ذلك قوله تعالى: فَنادته الْمَلَائِكَةُ، فَإِن النداء إنما يكون من بعيد و لذلك كثر إطلاق النداء في مورد الجهر بالقول لكونه عندنا من لوازم البعد، و ليس بلازم بحسب أصل معنى الكلمة كما يشهد به قوله تعالى في ما حكى فيه دعاء زكريا إِذْ نادى رَبَّهُ نداءً خَفِيًّا: مريم- ٣ فقد أطلق عليه النداء بعناية تذلّل زكريا و تواضعه قبال تعزز الله سبحانه و ترفعه و تعاليه،

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

- ثم وصف النداء بالخفاء فالكلام لا يخلو عن إشعار بكون زكريا لم ير الملك نفسه، وإنما سمع صوتا يهتف به هاتفا.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

- وقد ذكر بعض المفسرين: أن المراد من جعله تعالى عدم التكليم آية نهييه عن تكليم الناس ثلاثة أيام، و الانتطاع فيها إلى ذكر الله و تسبيحه دون اعتقال لسانه، قال: الصواب أن زكريا أحب بمقتضى الطبيعة البشرية أن يتعين لديه الزمن الذى ينال به تلك المنحة الإلهية ليطمئن قلبه و يبشر أهله فسأل عن الكيفية،

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

- و لما أجيب بما أجيب به سأل ربه أن يخصه بعبادة يتعجل بها شكره، و يكون إتمامه إياها آية و علامة على حصول المقصود، فأمره بأن لا يكلم الناس ثلاثة أيام بل ينقطع إلى الذكر و التسبيح مساء صباحا مدة ثلاثة أيام فإذا احتاج إلى خطاب الناس أو ما إليهم إيماء، على هذا تكون بشارته لأهله بعد مضي الثلاث الليال، انتهى.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً

- و أنت خير بأنه ليس لما ذكره (من مسألته عبادة تكون شكرا للمنحة، و انتهائها إلى حصول المقصود، و كون انتهائها هو الآية، و كون قوله: **أَلَّا تُكَلِّمَ** مسوقا للنهي التشريعي و كذا إرادته بشاره أهله) في الآية عين و لا أثر.

كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه

- كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه و ما يلحق بها من التكليم
- قد مر كرارا أن الألفاظ موضوعه لمعانيها من حيث اشتمالها على الأغراض المقصوده منها،
- و أن القول أو الكلام مثلا إنما يسمى به الصوت لإفادته معنى مقصودا يصح السكوت عليه،

كلام فى الخواطر الملكية و الشيطانية

- فما يفاد به ذلك، كلام و قول سواء كان مفيدة صوتا واحدا أو أصواتا متعددة مؤلفة أو غير صوت كالإيماء و الرمز،
- و الناس لا يتوقفون فى تسمية الصوت المفيد فائدة تامة كلاما و إن لم يخرج عن شق فم، و كذلك فى تسمية الإيماء قولاً و كلاماً و إن لم يشتمل على صوت.

كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه

- و القرآن أيضا يسمى المعانى الملقاه فى القلوب من الشيطان كلاما له و قولا منه،

كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه

- قال تعالى حكاية عن الشيطان: «وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ»: النساء - ١١٩ و قال: «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ»: الحشر - ١٦، و قال: «يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ»: الناس - ٥، و قال «يُوحِي بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ»: الأنعام - ١١٢

كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه

• و قال أيضا حكاية عن إبليس: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ
و وَعَدْتِكُمْ»: إبراهيم - ٢٢ و قال: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ و
يَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ و اللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ و فَضلاً و اللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ و مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا»: البقرة - ٢٦٩،

كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه

- و من الواضح أن هذه هى الخواطر الوارده على القلوب، نسبت إلى الشيطان، و سميت بالأمر و القول و الوسوسه و الوحي و الوعد، و جميعها قول و كلام و لم تخرج عن شق فم و لا تحريك لسان.

كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه

• و من هنا يعلم: أن ما تشتمل عليه الآيه الأخيره من وعده تعالى بالمغفره و الفضل قبال وعد الشيطان هو الكلام الملكى فى قبال الوسوسه من الشيطان، و قد سماه تعالى الحكمة، و مثلها قوله تعالى: «و يجعل لكم نورا تمشون به»: الحديد - ٢٨،

كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه

• و قوله: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» : الفتح - ٤، و قد مر بيانها فى الكلام على السكينة فى ذيل قوله تعالى: «فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ»: البقره - ٢٤٨، و كذا قوله: «فَمَنْ يردِ اللّٰهَ ان يَهْدِيهِ يَشْرِحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَ مَنْ يردِ ان يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّٰهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ»: الأنعام - ١٢٥،

كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه

- و قد سمى الوسوسه رجزا فقال: «رَجَزَ الشَّيْطَانُ»: الأنفال - ١١، فمن جميع ذلك يظهر أن الشياطين و الملائكه يكلمون الإنسان بإلقاء المعانى فى قلبه.

كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه

• و هنا قسم آخر من التكليم يختص به تعالى كما ذكره بقوله: «و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب» الآية: الشورى - ٥١، فسماه تكليماً و قسمه إلى الوحي، و هو الذى لا حجاب فيه بينه و بين العبد المكلم، و إلى التكليم من وراء حجاب، هذه أقسام من الكلام لله سبحانه و للملائكة و الشياطين.

كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه

- أما كلام الله سبحانه المسمى بالوحي فهو متميز متعين بذاته فإن الله سبحانه ألقى التقابل بينه و بين التكليم من وراء حجاب فهو تكليم حيث لا حجاب بين الإنسان و بين ربه، و من المحال أن يقع هناك لبس، و هو ظاهر، و أما غيره فيحتاج إلى تسديد ينتهى إلى الوحي.

كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه

- و أما الكلام الملكى و الشيطانى فالآيات المذكوره أنفا تكفى فى التمييز بينها فإن الخاطر الملكى يصاحب انشراح الصدر، و يدعو إلى المغفره و الفضل، و ينتهى بالأخره إلى ما يطابق دين الله المبين فى كتابه و سنه نبيه،

كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه

- و الخاطر الشيطانى يلازم تضيق الصدر، و شح النفس و يدعو إلى متابعه الهوى، و يعد الفقر، و يأمر بالفحشاء، و بالأخره ينتهى إلى ما لا يطابق الكتاب و السنه، و يخالف الفطره.

كلام فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه

- ثم إن الأنبياء و من يتلوهم ربما تيسر لهم مشاهدة الملك و الشيطان و معرفتهما كما حكى الله تعالى عن آدم و إبراهيم و لوط فأغنى ذلك عن استعمال المميز، و أما مع عدم المشاهده فلا بد من استعماله كسائر المؤمنين، و ينتهى بالأخره إلى تمييز الوحي و هو ظاهر.

وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأُكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّٰهَ
 اصْنُطَفَأُكَ وَ طَهَّرَكَ وَ اصْنُطَفَأُكَ
 عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢)